

ندوات تلفزيونية - قناة الوطن - ندوات ليالي فبراير (٠٣) : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم -
بديروالحوارالشيخ مشاري العنزي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١١-٠٢-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

حياكم الله أيها المشاهدين، عدنا معكم مرة أخرى مع المشايخ الفضلاء، دكتور محمد راتب النابلسي كنت تتكلم قبل الفاصل عن كتابك "موسوعة الإعجاز العلمي"، وهناك "موسوعة أسماء الله الحسنى"، هما كتابان، أعتقد طبع عشرون طبعة كما سمعت منك، ما شاء الله ما السر انتشار هذا الكتاب؟ أنا حسب علمي أن أغلب الذين كانوا يسحبون من الموقع كان من موسوعة الأسماء الحسنى والإعجاز العلمي.

آيات الإعجاز تؤكد أن القرآن الكريم كلام خالق الأكوان :

الدكتور راتب:

السبب هو أن الله سبحانه وتعالى إذا أرسل رسلاً كيف يشهد أنه رسوله؟ الأنبياء السابقون آتاهم الله المعجزات الحسية، والمعجزة خرق لنواميس الكون، فكأن هذا الخرق للنواميس شهادة الله لهذا النبي الكريم أنه نبيه، أو رسوله، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهذا النبي الكريم لكل البشر أجمعين، إذاً لا بد من أن تكون معجزته مستمرة، وكيف تكون مستمرة؟ إن كانت علمية، لذلك في القرآن الكريم آيات كثيرة تزيد عن مئة آية تؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن، كيف؟ هناك إشارات علمية في القرآن الكريم وهناك بحوث علمية الآن اكتشفت، آتي بمثال: حينما صعد رائد الفضاء إلى الفضاء الخارجي، وتجاوز طبقة الهواء و التي تقدر بخمسة و ستين ألف كيلو متر، صاح بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، لماذا؟ لأن في الهواء حالة فيزيائية اسمها انتشار الضوء، فحينما تسلط أشعة الشمس على الهواء، ذرات الهواء تعكسها إلى ذرات أخرى، ففي الأرض مكان فيه أشعة الشمس، ومكان فيه ضوء الشمس، لكن حينما تجاوزنا طبقة الهواء انعدم انتشار الضوء فأصبح الضوء ظالماً قاتماً، فصاح الفضائي بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، هذه الحادثة اكتشفت بعد ارتياد الفضاء الخارجي، فتفتح القرآن الكريم الذي نزل على قلب النبي الكريم قبل ألف وأربعمئة عام فإذا فيه قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر]

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد تأكيداً قطعياً أنه لا يمكن أن تكون هذه الإشارات العلمية إلى قضايا علمية اكتشفت حديثاً لم تكن هذه القضايا معروفة من قبل، فكأن هذه الشهادة شهادة الله لهذا الكتاب الكريم أنه كتابه، والله عز وجل كيف شهد للأنبياء السابقين؟ بخرق النواميس، وهذه حالة صارخة جداً، لذلك آيات الإعجاز تؤكد أن القرآن كلام خالق الأكوان.
المذيع:

أنا هذا يقودني إلى سؤال دكتور، وأنا أسمع محاضراتك، و برامجك.

من شروط الإعجاز أن تكون القضية العلمية حقيقة ثابتة مقطوعاً بها :

الدكتور راتب:

لكن عفواً لأبد من ملاحظة، الإعجاز إذا أتينا بمقولة علمية لم نتأكد من صحتها وربطناها بآية قرآنية قد تكون ظنية الدلالة، هذا الربط البسيط العفوي الغير الدقيق هذا يعد معولاً لهدم القرآن الكريم، لأن الطرف الآخر ينقض هذه المقولة العلمية، مقولة سميتها أنا، فإذا نقضها نقض معها الآية، فمن شروط الإعجاز أن تكون القضية العلمية حقيقة ثابتة مقطوعاً بها لا يختلف عليها اثنان في الأرض، وأن تكون الآية القرآنية قطعية الدلالة، وأن يكون الارتباط بينهما ارتباطاً تاماً وعفويّاً، بتحقيق هذه الشروط تدخل هذه القضية في الإعجاز.

فالإعجاز كما أنه داعم كبير للإيمان يمكن أن يكون معولاً يأخذه الطرف الآخر لنقض هذا القرآن.
المذيع:

هذا يقودني دكتور سلمان أن نحن بحاجة إلى تخصص، يعجبني في كلام الدكتور كونه متخصصاً بالجانب هذا فيبدع ويبحر به، ألا تعتقد أن في أمتنا على الأقل في الزمن الحالي من هو بحاجة إلى التخصص -كلٌ يبدع في تخصصه-؟.

ينبغي على المسلمين اكتشاف العلوم المتعلقة بالإعجاز والوصول بها إلى مستوياتها العليا:

الدكتور سلمان:

أيضاً أنني على كلام الدكتور في مسألة عدم إقحام القضايا الظنية في القرآن الكريم، هذا معنى جميل، ومن قبل كان عدد من المفسرين كما يقال عن بعض الكتب يقال فيها كل شيء إلا التفسير، لأن هناك نظريات علمية، وأقوال، إلى آخره، فالإقتصار على الحقائق العلمية هذا معنى لطيف، وكذلك ما يتعلق بالقرآن أن تكون القضية إما قطعية كما ذكر الدكتور، أو على الأقل تكون ظاهرة

الدلالة، لأنه لا يوجد مشكلة إذا كان هذا أحد المعاني المحتملة في القرآن الكريم لهذا المعنى، ما دامت الحقيقة ثابتة، الإشكال هل تدل الآية عليها أو لا تدل؟ المشكلة هي أحياناً في إقحام القرآن، مثلاً هناك إنسان كاتب:

﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾

[سورة التكوير]

ذكر أن هذا يعبر عن حدائق الحيوانات الموجود الآن في العالم، مثلاً، هذا موجود وأنا قرأته لعالم مشهور، ما هي القيمة التي نضيفها نحن إلى القرآن الكريم عندما نقول: حصلت نبوءة بحشر الوحوش والحيوانات في سفاري أو في حديقة حيوانات وما أشبه ذلك؟ لا جديد فيه، ولا شيء معجز، وربما تجد من بعض كلام البلغاء والنحات والعوام أحياناً إشراقات من هذا القبيل، وإنما الإعجاز هو فعل يعجز البشر عنه، ولا يكون معلماً لهم بوجه من الوجوه، ثم يثبت - ألتقط من سؤالك إضافة أخرى إلى ما تقدم فيه أخي الدكتور محمد راتب في مسألة أنه مع أهمية الإعجاز - خلقاً كثيراً من الناس، وهناك أناس غير مسلمين دخلوا في الإسلام أو آمنوا بسبب إطلاعهم على جوانب من الإعجاز وخاصة خلق الإنسان، ولكن أنا أريد أن أقول ينبغي أن أدرك أن الأصل هو أن نكون نحن مشاركين على الأقل في اكتشاف هذه العلوم، وفي الوصول بها إلى مستوياتها العليا.

المذيع:

أي لا ننتظر أن نبحث عن الآية بل نبحث .

ميل العالم العربي والإسلامي إلى سرعة اعتقاد الأشياء و الجمود فيها :

الدكتور سلمان:

لا ننتظر أن نكتشف العلم في أمريكا، أو في أوروبا، في مختبراتهم، أو في الفضاء، أو في أماكنهم، والمعلومات التي أصبحت الحقيقة انفجار هائل، وهذا جانب مهم جداً، وأنا أقول: هناك معنى لطيف ورائع وهو أن الغرب جعل كثيراً من الأشياء في كشوفه عرضة للشك، حتى النظريات التي كانت يقينية قطعية في يوم من الأيام عندهم جاء العلم وتعداها وتجاوزها وفجر الذرة، وبدأ يعيد النظريات النسبية، عندك النسبية لأينشتاين، وغيرها، بينما في عالمنا العربي والإسلامي تميل إلى سرعة اعتقاد الأشياء، ولذلك نجمد طويلاً حتى نكتشف، يوم من الأيام سئل بعض الفقهاء عن مسألة الأجنة، هل يمكن معرفة نوع الجنين أو لا يمكن؟ قال: لا يمكن، واستدل بالقرآن الكريم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾

[سورة لقمان الآية: ٣٤]

ونزل هذا على معرفة نوع جنس الجنين ذكر أو أنثى أنه مستحيل بنص القرآن الكريم القطعي في نظرهم، جاء العلم وأثبت أن معرفة الجنين ممكنة، ممكنة في مرحلة من مراحل الحمل، فهنا طبعاً لا شك أنه من إلحاق بعض المعاني الغير صحيحة في القرآن الكريم، الذي يكشف العلم من هنا

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾

ليست مقصورة فقط على الجنس، وإنما هنا علم الهداية و الضلال، علم الصحة والمرض، علم الحياة والموت، كل ما يتعلق بهذا الأمر هو يعلمه سبحانه منذ البداية الأولى، بل حتى قبل أن يقع يعلم ما سوف يقع في الرحم.

فأقول: ربما يكون من الجميل ونحن نتكلم عن التخصص أن ندرك عدم الإغلاق في بعض المسائل وإبقائها مفتوحة، نعم يترجح هذا، ويظهر هذا، ونظن هذا، والأغلب هو هذا، لكن نجعل في بعض الأشياء الممكنة نجعل بها احتمالاً لما قد يفاجئنا به العلم من المتغيرات والكشوف.

إعجاز القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه :

الدكتور راتب:

أريد أن أعقب تعقيباً لطيفاً، النبي عليه الصلاة والسلام لم يؤثر عنه أنه شرح آية كونية مع أن في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، مجموع الآيات، أو مجموع الموضوعات الكونية، وشيء يلفت النظر إما أنه لم يتحدث عنها بتوجيه من الله، أو باجتهاد منه، لكن الذي حدث أنه كلما تقدم العلم كشف عن جانب من هذه الآيات الكونية، وكأن هذه الآيات الكونية التي جاءت في القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه، شيء يكتشف قبل عشرين عاماً آية قرآنية تشير إليه قبل ألف وأربعمئة عام، فكأن إعجاز القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه.

بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب عدا الشمس أربع سنوات ضوئية، أريد أن أقدم للأخوة المشاهدين ما معنى أربع سنوات ضوئية، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم يقطع في الدقيقة؟ ضرب ستين، كم يقطع في الساعة؟ ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع وعشرين، كم يقطع في السنة؟ ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، كم يقطع في أربع سنوات ضوئية؟ ضرب أربعة، ابنك الصغير بآلة حاسبة بدقائق يحسب كم يبتعد هذا الكوكب الذي هو أقرب كوكب إلى الأرض، وبعده عنا أربع سنوات ضوئية.

الآن لو أردنا أن نأخذ مركبة أرضية ونريد أن نمشي إليه، نحتاج إلى خمسين مليون عام لو أردنا أن نصل إلى هذا الكوكب الذي هو أقرب كوكب لنا، وأقرب نجم لنا ملتهب، هذا بعده عنا أربع سنوات ضوئية، نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل؟.

المرأة المسلسلة تبعد عنا مليوني سنة ضوئية، أحدث مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، الآن افتح القرآن الكريم:

﴿ فَلَا أَسْمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

لذلك:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر الآية: ٨٢]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيتَه كلك، فإذا أعطيتَه بعضك فلم يعطك شيئاً. أنا أرى أن معرفة الله أصل في الدين، أنت حينما تعرف الأمر ثم يأتيك الأمر تتفانى في طاعة الأمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر كشأن بعض المسلمين اليوم تتفنن في معصية هذا الأمر، إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر فتتفنن في التفتل من هذا الأمر.

لذلك أصل الدين أن نعرف الله، وألف وثلاثمئة آية في القرآن تتحدث عن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان، آية آية في القرآن لك منها موقف، آية الأمر يقتضي أن تأتمر، آية النهي تقتضي أن تنتهي، آية الجنة أو النار ينبغي أن تسعى إلى الجنة وأن تفر من النار، آية آية في القرآن لك منها موقف، ما موقفك من ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون؟ إنه التفكر، والتفكر أرقى عبادة في عبادات معرفة الله عز وجل.

المذبح:

حديثك شيق دكتور ولا أريد أن أقاطعك، لكن أرجع للدكتور سلمان؛ في بعض الكتب لك التي رأيتها أنا مثل بناتي، أعتقد أن لها مناسبة ولها قصة في تأليفها.

المرأة صانعة المجد :

الدكتور سلمان:

هذه نهديها للدكتور، أنا عندي بنيات، رزقني الله تعالى بثلاث بنيات، كانوا ثلاث بنات أصبحوا أربع بنات، والصغيرة ولدت في رمضان، وأفخر بهم، حتى أسمائهم ذكرتها في مقدمة أو في الإهداء للكتاب، قلت: إلى أمي الطاهرة، أمي اسمها نورا، وإلى بناتي غادة، آسيا، نورا، وإلى زهرتي الصغيرة ريماز، أنا أصبحت جدًّا، وكانت قبل الكتاب لم تلد فألحقناها في الطبعة الجديدة.

طبعاً الحقيقة حاولت في الكتاب أن أقدم الثقافة القرآنية والنبوية للمرأة، لأنه في مجتمعاتنا العربية الثقافة المتعلقة بالمرأة فيها خليط من القيم الإسلامية الجميلة مثل العفاف، والصلة، والرحمة، وفيها بعض العادات الجاهلية التي تسلت وتسربت إلينا بحيث أن بعض الناس يستحي من ذكر اسم امرأته، أو أن يرى يمشي معها، أو إذا مشت يريد أن تمشي خلفه، وربما يستحي أن يأكل معها، أو يداعبها، بينما في القيم الإسلامية وهدى النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقول: هناك ثورة في كثير

من هذا القبيل، حتى الشباب تجد يعير بعضهم بعضاً أنا أعرف اسم أمه، أنا لا أعرف اسم أمه. فأنا بالكويت كنت قبل شهر في مؤتمر للأوقاف عن: "المرأة صانعة المجد"، وقارنت بين نموذجين؛ النموذج الأول قصة أم سلمة رضي الله عنها لما كانت الجارية تمسحها والحديث في صحيح مسلم، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر في المسجد يقول: أيها الناس فقامت، ورمت المشط، والجارية تقول لها: اقدي إنما يقول أيها الناس! فقالت: إليك عني، إنما أنا من الناس، هنا لاحظ كيف أن المعنى الشرعي الإسلامي أحدث ثورة في نظرة المرأة إلى نفسها ونظرة المجتمع إليها، بحيث أنها اعتبرت أنها مشمولة في الخطاب، ولذلك النساء قلن: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فنزل قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٥]

إلى آخر الآية في سورة الأحزاب، قارنت هذا في قصة روزا المرأة الأمريكية التي كانت في الباص أيام التمييز العنصري، أمريكية وهذا كان عام ألف و تسعمئة و خمسين، جاء شاب أبيض أراد منها أن تقوم فرفضت، وجاء سائق الباص وتدخلت الشرطة، وأقيمت بالقوة، وبعد أسبوع حُكم عليها من المحكمة بغرامة، ثار السود في الولاية الأمريكية كلها ثورة لم تهدأ حتى أعلنت المحكمة الدستورية العليا المساواة بين جميع أفراد المجتمع الأمريكي في الحقوق والواجبات بغض النظر عن أي اعتبار آخر، وهي أيضاً أصبحت بطلة من الأبطال في البيت الأبيض، وكُرمت، وأخذت أعلى الأوسمة، والنياشين.

ولعل وصول أوباما إلى السلطة وهو رجل من أصل إفريقي يعود إلى تلك المواقف النبيلة.

الاحتفاظ بالروح الجميلة الإيمانية التي لفتنا إياها القرآن الكريم في وضع المرأة :

فأنا قصدت أن أقول: نحن في الإسلام حصلنا على هذه الهداية الربانية من القرآن الكريم، وتلقاها الناس وتعلموها، وأحدثت هذه الثورة الثقافية الداخلية، أما هناك فلم يحدث هذا إلا من جراء مصادمات ومواجهات طويلة عريضة.

لكن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا دائماً: الآن بعيداً عن الإحالة إلى التاريخ في الواقع الحاضر هل العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية هل تحتفظ بالروح الجميلة الإيمانية التي لفتنا إياها القرآن الكريم وهدى الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق في وضع المرأة؟ وضع الأم؟ وضع الأخت؟ وضع الزوجة؟ وضع البنت؟ هذا ما يحاول هذا الكتاب أن يعالجه. المذيع:

ما بقي معي إلا دقائق بسيطة، إشارة سريعة إلى كتاب "شكراً إلى أعدائي"، كانت رسالة غريبة تشكر الأعداء.

إشارة سريعة إلى كتاب شكراً إلى أعدائي :

الدكتور سلمان:

طبعاً لا أقصد الأعداء، هم الأصدقاء لكني كما أشرت في المقدمة أن بعضهم اختاروا لأنفسهم أحياناً موقفاً، ومن طبع الحياة أن يكون ذلك، ذلك الإنسان لا يتهم نوايا الناس، في الغالب إن النوايا طيبة لكن يقع اختلاف في الرؤيا، واختلاف في الاجتهاد، أو سوء ظن مبني أحياناً على القطيعة، أو على التواصل، والذي أراه أن كل الذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ويتوضؤون حينما يريدون أن يصلوا بين يدي الله عز وجل ويعبدونه، أن هؤلاء الناس مؤمنون مسلمون، وهم إن شاء الله في الآخرة في الجملة من الناجين، ويجب أن - وخاصة في هذا العصر هناك تحديات ضخمة- يكون بينهم بدلاً من أن يفكروا طويلاً ويبحثوا عن عناصر التباعد والاختلاف أن يفكروا ويبحثوا عن العوامل المشتركة والتحديات، ومجالات التعاون على البر والتقوى فيما بينهم.

المذيع:

بارك الله فيك دكتور، لم يبقَ معي إلا ثوان، نختم بشعار حملتنا الدينية: بلدة طيبة ورب غفور، رسالتك الأخيرة دكتور.

العلم أساس قوام الأمة :

الدكتور راتب:

والله أنا أرى أن أساس قوام الأمة العلم، إنك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فحينما يقام مع الاحتفالات المتعلقة بالاستقلال ندوات دينية فهذه بادرة طيبة أرجو أن تستمر، وأن تتوسع أيامها، وأرجو الله سبحانه وتعالى لهذا البلد كل خير، حكومة، وشعباً، وأميراً.

خاتمة و توديع :

المذيع:

جزاك الله خيراً، أشكرك دكتور محمد راتب النابلسي، وجزاك الله كل خير دكتور سلمان على إجابة الدعوة.

شكراً لكم مشاهدينا الكرام على متابعتكم.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

والحمد لله رب العالمين